٢١

مغامرات قبل النوم



أجمل القصص الملونة

مغامرات قبل النوم

دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش

بعدَ عودتي

ولعبتُ قلي

وفي غرفةِ

وردَ فِيها

بدأتْ بها من

سوى صف

إنني أقطعُ ع

التي لا تنتهي

يتهمونني بال

يتصورونَ أنني

والحقيقةُ بعيد

مغامراتي قبل النوم

بعدَ عودتي من المدرسةِ ، حفظتُ دروسي وكتبتُ وظائفي ولعبتُ قليلاً . ثم أقبلَ الليلُ . وتناولنا طعامَ العشاء .

وفي غرفةِ الجلوسِ أمسكَ أبي بالصحيفةِ اليوميةِ يتابعُ ما وردَ فيها باهتمام ؛ أما أمي فقد أخذتْ تقرأُ القصةَ التي بدأتْ بها منذُ أيامٍ طويلة ، ولكنها لمْ تقرأ منْها حتى الآن سوى صفحاتٍ معدوداتٍ وهي تلقي باللومِ عليَّ وتقولُ إنني أقطعُ عليها تسلسلَ الحوادثِ من حينٍ لآخرَ ، بأسئلتي التي لا تنتهي . وأحب أن أقف قليلاً عند هذه النقطة ، فالجميعُ يتهمونني بالفضول ، ويعيبونَ عليَّ كثرةَ أسئلتي ولعلَّهم يتصورونَ أنني أقصدُ من ورائها إزعاجَهم .

والحقيقةُ بعيدةٌ عن ذلك ، فأنا لا أحبُّ أن أزعجَ أحداً



ولكنَّ الدُّنيا حولي مليئةٌ بالأشياءِ الجديدةِ والعجيبةِ ، كلُّها



تسترعي انتباهي ، وثمةَ حوادثُ أعجزُ عَن تفسيرهَا فألجأ إليهم ـ هم الكبار وأُجابَهُ إما بالصمتِ أو بالتحذيرِ أو بإجاباتٍ لا تقنعُني . سألتُ والدي عما إذا كان سيأخذُني غداً إلى السينما التي تقدِمُ فيلماً خاصاً بالأطفال فأجابَني

بغمغمةٍ لم أفهمْ منها شيئاً ، يبدو أنه سيؤجلُ ذهابنَا إلى الأسبوعِ القادمِ . وأردتُ أن أحكيَ لأمي عما حدثَ لصديقي « سامي » في درسِ الحسابِ فَقالتْ بلهجةِ تحذيرٍ : لقد سبقَ أن رويْتَ لي نفسَ القصةِ مرتينِ هذا اليومَ ، هل نسيت ؟ . قد أكونُ رويتُ لها القصة ، ولكنْ ما الذي يمنعُ من أن أحكيها للمرةِ الثالثةِ ؟ سوفَ تكونُ بالطبعِ مختلفةً عن المرتينِ السابقتينِ لأنني سأضيفُ إليها تفاصيلَ أغفلتُها من قبلُ . واستغرقَ أبوايَ في القراءةِ ، وبقيتُ وحدي ، كلا ، لم أبقَ وحدي فكُتُبي تؤنسُني وهأنذا أعيشُ بمغامراتٍ أنا على ثقةٍ من أنَّ أمي وأبي لا يعرفانِ عنها شيئاً ولم يسبقْ أن عاشَ مثلَها أحدٌ . أمسكتُ بالكتابِ الملوَّنِ الذي قدمتْه لي عمتي هديةً بمناسبةِ عيدِ ميلادي وفي صفحاتِه ورسومه أقومُ بأكثرَ من مغامرةٍ ، ولنبدأْ . أنا الآنَ مزارعٌ ، أملكُ مزرعةً مترامية الأطرافِ ، فيها حظيرةٌ تغصُّ بالأبقارِ

والخرافِ ، وفيها قنُّ دجاجٍ وأبراجُ حمام وكلبُ حراسةٍ لا يجرؤُ ذئبٌ أو ابنُ آوى على الاقترابِ من المزرعةِ أثناء وجودِه . انتهى موسمُ الحصاد . فعبأتُ الحبوبَ في الأَكياسِ ورتبتُها في مخزنِ الغلال .

وجعلتُ التبنَ أكواماً . لا يهمُّني أن ينقضيَ الصيفُ ويقبلَ الشتاءُ . فلقد كان الموسمُ وفيراً ، وعندي ما يكفي لأسرتي ، حتى القطة والفئران والكلب خصصتُ لكلٍّ منها حصتَه ، وقد أنجزتُ كافةَ أعمالي فلألْعبْ قليلاً . أكوامُ التبنِ في المخزنِ ، وقطتي « مياو » تشاركُني اللعبَ ، لا يبدو سوى رأسُها ، انظروا إليَّ وأنا أقفُ على سطحِ كومةِ التبنِ هل تستطيعينَ يا صديقتِي « ندى » أن تصعدي وحدَك إلى أعلى الكومةِ ، أم أمدُّ يدي لأساعدَك؟ .. إنني سعيدٌ، فقد قمتُ بعملي على خيرِ وجه . وداعاً أيها الربيع ، وداعاً أيها الصيف ، وليقبلِ الشتاءُ بأمطارِهِ ورعودِه فقد هيأتُ لاستقبالِه



كلَّ ما يلزم . لم أعدْ مزارعاً فقد قلبتُ صفحةً من كتابي الملونِ الرائع ، وأنا [redacted] يعود إلى قريتِه وبيتِه وطاحونِه بعد أن غابَ عنها أشهراً طويلةً ، كان يجُوب



فيها البحارَ ويتنقلُ بين الموانيء .   زُرتُ معظمَ بلادِ العالم
وكان لي في كلِّ مرفأ أصدقاءُ ، ولكن لَشدَّ ما حننتُ

إلى قريتي الصغيرة وبيتي الذي بنيتُه قربَ طاحونةِ الهواء

وعلى مَتْنِ السفينةِ الضخمةِ، كنت كثيراً ما أحلمُ بالشجيراتِ

التي زرعتُها وبالأزهارِ التي كنتُ أتخيلُ أنني أشمُّ عبيرَها

وهأنذا الآنَ أجلسُ قريباً من البيتِ ، أتطلعُ إليهِ بشوقٍ

وأمامي الضفدعةُ التي لم أسمعْ صوتَ نقيقِها منذ زمنٍ

بعيد ، كأنها ترحبُ بعودتي إلى البيت . وداعاً أيتها السفينة

خذي بحّاراً غيري ، واسبحي فوقَ الأمواجِ . لن أغيبَ

عنك طويلاً ، وقريباً نلتقي .

وقلبتُ الصفحه وبذلك انتهتْ مهمتي كبحارٍ ، وبدأتُ

حياةً جديدةً ممتعةً إنني الآن صيادٌ ماهرٌ شجاعٌ ممتلئٌ

حماسةً وإقداماً . أنا لا أخافُ أبداً ، أتجولُ في الغابات،

والأدغالِ ، الحيواناتُ كلها تخافُني فهي تعرفُ حقَّ المعرفةِ

مهارتي في الصيدِ ، وتعرفُ أنني لا أخطىءُ هدفاً لقد هربتْ

كلُّها ، وأنا الآنَ في قلبِ الغابةِ .

أسمعُ صوتَ تكسُّرِ أغصانٍ . وفجأة يبرزُ أمامي أسدٌ عظيمُ الجثة يزمجرُ بصوتِه المرعبِ إنه ملكُ الغابة بلا منازعٍ ، ولا شكَّ في أنه جاء يستطلعُ الأمرَ ويحاولُ معرفةَ مصدرِ خوفِ الحيوانات . فلأختبيءْ ... كلا ماذا دهاني ؟

لن أختبىءَ وسأواجهُ الأسدَ بكلِّ شجاعةٍ ، هكذا فعلتُ ، وبطلقةٍ واحدةٍ سددتُها بإحكامٍ إلى جبهة الأسدِ خرَّ صريعاً يتخبطُ بدمائه . لقد أنجزتُ مهمةً شاقةً تليقُ ببطلٍ شجاعٍ مثلي ، وما أكادُ ألتقطُ أنفاسي ـ بعد أَنْ قضيتُ على الأسدِ . حتى يظهرَ فيلٌ ضخمٌ ، لن أهربَ منه بالطبعِ فكيف يخافُ الفيلَ من لم يَخَفِ الأسَد ؟ .

يبدو أنني تعبتُ فالصيدُ عملٌ مرهقٌ يتطلب التركيزَ والانتباه ، ولا شكَّ في أنني رغم شجاعتي أشعرُ ببعضِ الخوف ، وإن كنتُ أكتمُ هذا الخوفَ في صدري فلا يشعرُ به أحدٌ غيري ، أشعرُ به وحدي . إن قلبي يختلجُ بين ضلوعي وأكادُ أسمعُ



صوتَ ضرباتِه بأذنيَّ . ثم إنَّ الحيواناتِ كثيرةٌ جداً لا أستطيعُ أن أصطادَها كلَّها في يومٍ واحد فلأتركْ بعضاً منها للغدِ ، ولأقلبِ الصفحةَ ... أنا الآن على شاطئِ البحرِ



فقد انتهى العامُ الدراسي وبدأتِ العطلةُ الصيفية وداعاً أيتها المدرسة وداعاً أيتها الدروس والوظائف !..

بيدي سطلٌ ومجرفةٌ ، سأَصنعُ عجينةً من الرملِ والماء، وأبني

بيوتاً وقلاعاً . الشاطئُ مليءٌ بالأَصْدَافِ والحصى الملَونةِ ، سأَحصلُ على مجموعةٍ كبيرةٍ منها . أعرضُها على رفاقي في المدرسة في مطلعِ العامِ القادمِ . ما أَجملَ الشاطئ . وما أمتعَ السباحةَ ، ولكنني أذهبُ مع أمي وأبي في كلِّ عامٍ إلى شاطئِ البحرِ خلالَ العطلة الصيفية، وسنذهبُ هذا العامَ أيضاً . سمعتُ بذلك عَرَضاً من حديثٍ دار بَين أمي وأبي البارحةَ - ولم يشرِكاني فيه - كعادتِهما دائماً . منهُما لا يأخذانِ أبداً رأيي في أمورٍ هامةٍ كهذه . إذنْ ليسَ في ذلك مغامرةٌ جديدةٌ ، لأقلبِ الصفحةَ . أنا الآنَ في إيطاليا - وفي البندقيةِ على وجهِ التحديدِ - الجندولُ يسير بي الهوينا مخترقاً الأمواجَ برفقٍ ، أستلقي في الجندول تحرسُني قطتي « مياو »، والبحارُ يجذِّفُ وأنا أغفو ثم أفيقُ في الوقت الذي يحلو لي ، تملأُ رأسيَ الأحلامُ الجميلةُ التي لا يعكرُ صفوَها شيءٌ ، ولا يجرؤُ أَحدٌ على الاقترابِ من الجندول ،

وإقلاقِ راحتي ، فثمةَ حارسٌ مخصصٌ للعنايةِ بي وهو يمنعُ أيَّ قاربٍ من الاقترابِ من قاربنا .

أتمتعُ بتناولِ أطيبِ المأكولات وأفخرِ الحلويات . ولا أحدَ يقولُ لي : كفى ، فقد أكثرتَ من الطعامِ .

يا لها من حياةٍ شيقة . ولكن إلى متى تدومُ هذه الحياةُ ؟

سئمتُ البحرَ ، وبدأ المللُ يتسربُ إلى نفسي فقد عملتُ بحّاراً وبنيتُ قلاعاً وهأنذا الآن أقضي الأيامَ والليالي في الجندول ، يكفي ذلك ، يجب أن أجددَ في نمطِ حياتي .

والتجديدُ يكمُن في صفحةٍ جديدةٍ من الكتاب .

ما هذا ؟... إنه لصٌ قاطعُ طريقٍ يتسلقُ سورَ الحديقةْ ، لقد سرَق أصحابَ البيتِ ولم يبالِ بالقططِ التي ترمقُه خائفةً ، ولا بالفأرةِ ، وهو لا يخافُ حتى الوطاويطَ التي أخذتْ تطيرُ معلنةً عجزَها عن إيقافِه عند حدِه وإلقاءِ القبضِ عليه .

بصفتي ضابطاً للأمْن ، سأكونُ له بالمرصادِ ، سأختبىءُ



بحيثُ لا يراني ، وعندما يطمئنُ إلى أنه قد أنجزَ مهمتَه بنجاح ، سأتصدى له وأهدِدُه ببندقيتي - وهيَ بالطبعِ غيرُ بندقيةِ الفلّين التي اشتراها لي والدي منذُ أيام - إنها بندقيةٌ حقيقيةٌ محشوةٌ بطلقاتِ رصاصٍ حقيقيةٍ ، سآمرُ اللصَ بِأنْ يرفعَ يديهِ ثمَّ أقودُه إلى السجنِ ،